كتاب الاحاطة

فى اخبار غرناطة *

هذا الكتاب أشهر كتب لسان الدين بن الخطيب واضخمها ، وهو من أشهر الكتب الاندلسية عامة . وقد عرفته المطبعة المصرية فى مطالع هذا القرن ، فأخرجت الجزء الأول والثانى منه ، واستطاعت هذه النشرة الجزئية أن تقضى اذ ذاك بعض حاجات الادباء والدارسين . ثم كانت النهضة العلمية الحديثة فى صناعة النشر ، وكان اقتضاب تلك النشرة وعيوبها الفنية وقدم العهد بها ، مما يقتضى الأخذ فى نشره كاملا محققا ، على الاصول العلمية للنشر .

واستجاب الاستاذ محمد عبد الله عنان لهذه الحوافز، وهو الرجل الذى أقبل على الدراسات الأندلسية منذ عهد بعيد ، اقبالا دائبا متعمقا بصيرا ، وبذل فيها غاية جهده ومنتهى وكده ، فاقتحم هذا المجال ، وأخذ فى تحقيق الجزء الأول من الاحاطة واعداده للنشر ، وبذل فى ذلك جهدا كبيرا استغرق منه — كما يقول فى مقدمته — فترة طويلة من العمل المتواصل بالقاهرة ومدريد والاسكوريال .

وكان هذا الجزء الذى أخرجته دار المعارف — اخراجا انيقا — فى سلسلة ذخائر العرب ، ثمرة هذا الجهد ، ونتيجة ذلك العمل المتواصل فى مصر واسبانيا .

ولا ريب أن ظهور هذا الكتاب ، بتحقيقاته التاريخية التى عرف الاستاذ عنان بها ، قد أخذ يسد حاجة كبيرة من حاجات الدرس الأدبى ، وحاجات القومية العربية الناهضة معا . وجدير به ان يعد من الاحداث البارزة فى تاريخ النشاط الأدبى والعلمى المعاصر .

وبقدر المكانة الكبرى التى يحتلها كتاب الاحاطة من تاريخنا الادبى وتراثنا العربى، وبقدر منزلة الاستاذ الناشر فى الدراسات الأندلسية، كان استبشارنا لظهوره وتحفينا به، وبقدر ذلك كله ينبغى ان يكون اقبالنا على درسه درسا ناقدا ، يتناوله من نواحيه المختلفة .

---

* هذا هو الاسم الدارج للكتاب، وبه نشر . ولكن لسان الدين نفسه يسميه فى قائمة الكتب التى اوردها فى آخر الاحاطة ، ونقلها عنه المقرى فى نفح الطيب : « الاحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة » . ثم جعل الاستعمال يختصر هذا الاسم ، فصار « الاحاطة باخبار غرناطة » كما سماه البشتكى فى مقدمة مختصره « مركز الاحاطة »

أما انا فسأجعل هذه الدراسة خاصة بناحية النشر ، ومدى توفيق الاستاذ الناشر فى اخراجه ، وابدأ ذلك بالنظر فى الأصول التى اعتمد عليها ، واستند فى تحقيق النص اليها .

والاصول فى النشر العلمى ــ كما نعلم ــ نوعان : أصول مباشرة ، وأصول غير مباشرة .

أما الأصول المباشرة فهى مخطوطات الكتاب . وجملة ما اتيح للاستاذ الناشر منها اربع ، صنفها صنفين ، وجعلها مجموعتين متفاوتى القيمة والمنزلة :

المجموعة الأولى تتألف من مخطوطتين ، واحدة مصرية وهى مخطوطة دار الكتب بالقاهرة ، والأخرى اسبانية، وهى مخطوطة جاينجوس المحفوظة ضمن مجموعته فى اكاديمية التاريخ بمدريد . والمجموعة الثانية تتألف من مخطوطتين أيضا ، واحدة مصرية وهى مخطوطة رواق المغاربة بالأزهر ، والأخرى اسبانية تونسية ، وهى مخطوطة كوديرا المأخوذة عن نسخة جامع الزيتونة بتونس ، والمحفوظة بمكتبة اكاديمية التاريخ الملكية . وقد رأى الناشر أن يكتفى بها عن أصلها ، متجاوزا بذلك حدود المنهج العلمى .

فأما المجموعة الأولى فهى التى اعتبرها الأصل ، وجعل مخطوطتيها عمدته فى نشر هذا المجلد الأول تدوينا وضبطا وتحقيقا ، لأنه قد انتهى بالبحث والمقارنة الى انهما « اقدم ما وصل الينا من اجزاء الاحاطة الأولى ، والى انهما فى الوقت نفسه من حيث الكتابة والنص اقيمها واصحها » كما هو نص عبارته.

ووددنا لو انه اشرك القارىء معه فى خطوات البحث والمقارنة التى انتهى بها الى الحكم لهاتين المخطوطتين بالاقدمية والأصحية، بحيث آثرهما هذا الايثار، وكاد يهدر ما عداهما .

أما نحن فلم نر فيما ذكره عن هاتين المخطوطتين ما يوليهما هذا الحق، ويؤثرهما بهذه المأثرة ، فليست واحدة منهما نسخة المؤلف ، أو نسخة قرئت على المؤلف ، أو نسخة منسوبة نسبا كريما معترفا به يحلها هذه المنزلة ، أو حظيت فى تاريخ حياتها بما عسى أن يسمو بها حتى تتجاوز غيرها ، فلا شىء من ذلك يمكن أن توصف به هذه أو تلك لتظفر بذلك الشرف، وتخمل ما عداها كمخطوطة جامع الزيتونة أو رواق المغاربة . ولسنا بحاجة الى أن نراجعهما لنرى أن فيهما الى جانب القراءة الصحيحة القراءة الفاسدة ، والى جانب القراءة المحتملة الخطأ المصمت الذى لا وجه

له ، فذلك ما تثبته فى وضوح وجلاء القراءات المثبتة فى هامش هذه النشرة ، كما تثبت الى جانب ذلك ــ كما سنرى ذلك فيما بعد ــ أن من المخطوطتين المفصولتين ما لم تتورط فى مثل هذه الاخطاء .

وكان مما ترتب على اعتبار مخطوطتى دار الكتب وجاينجوس أصلا وعمدة ، أن جعلهما الناشر الحكم الذى يحتكم اليه ، ويقبل حكومته ، فى اكثر الأحيان . فيقبل ما يوردانه ويثبته وان كان محالا ظاهر الخطأ ، ويزيف ما عداه ويطرحه ، وان كان ظاهر الصواب ، بل وان كان متعينا لا يجوز غيره .

وقد لاحظنا هذا فى غير موضع ، وأخذ منا العجب ــ أول الأمر ــ كل مأخذ. ولكن هذا العجب لم يلبث أن زال عنا حين ادركنا السر فى ذلك ، وهو هذا التأصيل الذى لا أصل له، والايثار فى غير مأثرة .

* * *

وبعد ، فاذا كان هنالك بين الأصول المخطوطة التى عرف بها الأستاذ الناشر فى المقدمة ، أصل هو أول بالتقدمة ، وآثر بالأولوية ، لكان ذلك الأصل هو مخطوطة رواق المغاربة (ر٠م) . وحسبها فى ذلك ما يذكره الاستاذ الناشر من صفتها « ان بهوامشها تعليقات واستدراكات للمقرى صاحب كتاب نفح الطيب وبخطه . ومنها فى صفحة ٢٧٩ هامش كتبه تأييدا لقرشية نسب جده ابى عبد الله المقرى . وفى نهايته ما يأتى : « قال هذا وكتبه الفقير أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، نزيل فاس ، بالقاهرة المحروسة ، سنة ١٠٢٩هـ. عرفنا الله خيره » .

ومنذ قرأت هذه الفقرة عن مخطوطة رواق المغاربة وأنا أحس احساسا قويا بخطرها ، ثم تحول ذلك الاحساس الى خاطر ما زال يراودنى ويساورنى ويلح على: الا يمكن أن تكون نسخة رواق المغاربة هذه بقية من النسخة التى كانت فى مصر ايام كان المقرى فيها ، عالما من علمائها ، وشيخا ظاهر المكانة من شيوخ الازهر ، والتى كان يرجع اليها فى تأليف كتابه : نفح الطيب ، ويصدر عنها بما كان يورده فى هذا الكتاب عن كتاب ابن الخطيب ؟ ذلك فرض على كل حال جد قريب . ثم الا يمكن أن تكون هذه النسخة التى بقيت لنا منها هذه البقايا هى احدى نسخ الكتاب الأصلية ، أى انها النسخة التى اختص بها لسان الدين بن الخطيب مصر ، فوجه بها اليها ، ووقفها على أهل العلم فيها ، وجعل مقرها اذ ذاك بخانقاه سعيد السعداء،

والتى يتحدث عنها المقرى فى الفصل الذى عقده فى نفح الطيب لمصنفات ابن الخطيب، كما يشير اليها الأمير ابن الأحمر حفيد الغنى بالله تعالى فى الفصل القيم الذى تحدث فيه عن كتاب الاحاطة، وبعض ملابسات وضعه ، فى كتابه « نثير الجمان »، ونقله المقرى ؟

ما زال هذا الخاطر يراودنى ، ولا أملك له صرفا ، كما لا أملك تحقيقه والانتهاء فيه الى رأى علمى قاطع ، وانا بعيد عن مصر ، اذ كان أول التحقيق فحص هذه المخطوطة . فليبق اذن هذا الخاطر فرضا حتى يتسنى لى أو لأحد الباحثين تحقيقه. فاذا تحقق فقد ظفرنا بأصل من الأصول النادرة ، وكنز علمى من الكنوز التى يغالى بها أصحابها أشد المغالاة . وذلك لجملة أسباب ، كل واحد منها يكفى لأن يجعل من هذه المخطوطة شيئا نادرا . فهى أولا نسخة المؤلف التى بعث بها هو نفسه الى مصر لتوقف على أهل العلم فيها . ثم هى تعد من أول نسخ هذا الكتاب ظهورا ، فتاريخ الوقفية التى كتبها وكيل المؤلف فى مصر الشيخ ابو عمرو بن عبد الله بن الحاج الأندلسى ، عن موكله ، هو ٢٢ محرم سنة ٧٦٨ ، أى قبل وفاة لسان الدين بن الخطيب بعشرة اعوام . ثم لانها — فوق هذا كله — تحمل خطوط جماعة من العلماء الاعلام وتعليقاتهم وتوقيعاتهم ، منذ عهد ابن الخطيب نفسه ، كما نرى ذلك فيما يذكره المقرى فى حديثه عنها ، اذ يقول :

« وقد رأيت بظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء . فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقريزى المؤرخ، ونصه: انتقى منه داعيا لمؤلفه أحمد بن على المقريزى فى شهر ربيع سنة ثمان وثمانمائة . وما رقمه الحافظ السيوطى ، ونصه : الحمد لله وحده ، طالعته على طبقات النحاة واللغويين ، وكتبه عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى سنة ثمان وستين وثمانمائة . وبعد هذين ما صورته : انتقى منه داعيا لمؤلفه محمد بن محمد القوصونى ، سنة اربع وخمسين وتسعمائة . وبعده ما صورته : انهاه نظرا وانتقاء على الحموى الحنفى ، لطف الله به . وبخط مولانا العارف الربانى علامة الزمان وبركة الأوان الشيخ محمد البكرى الصديقى ما نصه : طالعته مبتهجا برياضه المونقة ، وازهار معانيه المشرقة ، مرتقيا فى درج كلماته العذاب سماء الاقتباس مقتنيا من لطائفه درر وجواهر ، بل احاشيها بذلك القياس . كتبه محمد الصديقى ، غفر الله له . انتهى .

ورأيت بهامش هذه النسخة كتابة جماعة من أهل المشرق والمغرب ، كابن

دقماق ، والحافظ ابن حجر ، وغيرهما من أهل مصر ؛ ومن المغاربة ابن المؤلف ابى الحسن على بن الخطيب ، والخطيب الكبير سيدى ابى عبد الله ابن مرزوق ، والعلامة ابى الفضل ابن الامام التلمسانى ، والنحوى الراعى ، والشيخ الفهامة الشهير يحيى العجيسى شارح الألفية وصاحب التآليف . وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم . رحم الله جميعهم »

فأى ذخر أدبى فريد فى بابه تتضمنه هذه النسخة !

وهذه التعليقات التى يشير اليها المقرى فى هذه الفقرة قد أورد كثيرا منها فى نضاعيف كتابه : نفح الطيب ، واكثرها غاية فى الطرافة والنفاسة من ناحية قيمتها الأدبية والتاريخية . ومن هذه التعليقات ما كتب فى حياة لسان الدين ، وما كتبه بعض من اتصلت حياتهم بحياته ، وشاركوا فى بعض الأحداث التى عنى بتسجيلها، كبعض ما كتبه ابن مرزوق . ومنها ما يمثل الوانا من الجدال أو الحوار ومناقلة القول بين هذا وذاك من قراء هذه النسخة من العلماء ، فى عبارات حية نابضة ، مما احاط هذه النسخة بجو خاص ، وقد عنيت بتتبع هذه التعليقات والتوقيعات — كما جاءت فى كتاب المقرى — ووجدت فيها متعة أى متعة. وأنا أرجو أن تجمع وتستقصى وتمثل فى هذه النشرة الجديدة من كتاب الاحاطة ، وأن تأخذ مكانها الجدير بها فى هامشها .

هذه هى النسخة التى ظلت فى مصر محوطة بأسباب الرعاية حتى القرن الحادى عشر للهجرة ، وظلت مرجعا للعلماء يرجعون اليها ويمتحون منها ، وبقيت مركزا من مراكز النشاط الأدبى فى القاهرة ، وموطنا من مواطن الاتصال بين علماء المشرق والمغرب . فهل ترى هذه المخطوطة التى احتفظ بها رواق المغاربة فى الأزهر ، والتى تحمل كثيرا من التعليقات كما رأينا فيما قاله الاستاذ عنان فى صفتها ، هى بقية من بقايا تلك النسخة ؟ والا يكون ذلك التعليق الذى أشار الأستاذ عنان الى ان المقرى كتبه على هامشها تأييدا لقرشية جده ابى عبد الله المقرى ، (ولم يورد الاستاذ نصه)، انما كتبه ليقرنه الى التعليقين الذين اشار اليهما فى النفح ، عند نقله ترجمة جده عن الاحاطة ، وفيها أنه قرشى، فقال : « وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل من الاحاطة : (القرشى وهم . انتهى) ، فكتب تحته الامام ابو الفضل ابن محمد التلمسانى رحمه الله تعالى ما نصه : (بل صحيح نطقت به الألسنة والمكاتبات والاجازات ، واعربت عنه الخلال الكريمة ، الا ان البلدية يا سيدى ابا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية فى امام المغرب ابى عبد الله المقرى وهما . والحمد لله). »

اكان تعليق المقرى الموجود فى نسخة رواق المغاربة قرينا لهذين التعليقين ، أم انه كتبه مستقلا عنهما وفى هامش نسخة أخرى غير تلك النسخة التى نقلهما عنها ؟

هذا مالا نملك الاجابة عنه والقول فيه ما دمنا لا نملك مراجعة نسخة رواق المغاربة .

على انه مهما يكن من شىء فهذه النسخة ، نسخة رواق المغاربة ، تعد ولا ريب نسخة ممتازة حقا بهذه التعليقات التى كتبها المقرى بهامشها ، كما تمتاز بما يستطيع قارىء النشرة المطبوعة أن يراه واضحا فيما اثبته الاستاذ الناشر من قراءاتها مما يدل دلالة قاطعة على أصالة حقيقية ، وان كنا — ومعذرة الى الاستاذ الناشر — نشك كثيرا فى مدى الدقة والاستيعاب فى عرض هذه القراءات . فهو قد أساء الظن بها منذ أول الأمر ، واقتحمها نظره بادىء بدء ، فلا جرم لم يكن حريصا على أن يؤدى فى مقارناته صورة أمينة لها . وانما هى الالمامة بها بين الحين والحين ، واستشارتها بين وقت وآخر ، فى عجلة واستخفاف . وذلك هو تأويل نصه فى هامش ترجمة ثابت بن محمد الجرجانى على أن هذه الترجمة « روجعت بأكملها على مخطوط رواق المغاربة بالأزهر » . ولم يكن ثم حاجة الى هذا النص لو ان هذا هو شأن الناشر فى جميع الترجمات التى جاءت فى هذا المخطوط .

وهذا الى اختفاء رمز هذه المخطوطة اختفاء تاما من هامش كثير من الترجمات التى جاءت فى هذا الجزء مما تضمنته هذه المخطوطة . واذا كان الأستاذ الناشر قد أغفل بيان هذه الترجمات التى شاركت مخطوطة رواق المغاربة فيها — كما كان يقضى بذلك منهج النشر العلمى — فان القارىء يستطيع بشىء من التعقب أن يستنتج بعضها ، فيرى مثلا انه يذكر فى الفصل الذى عقده لوصف هذه المخطوطة انها تبدأ ببقية ترجمة بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، كما يذكر فى هذا الفصل أيضا انها تتضمن تراجم من حرف الحاء . وليس فى ترجمة بدر ولا أى ترجمة من تراجم حرف الحاء اشارة الى أى قراءة من قراءات هذه المخطوطة . وكذلك الأمر فى ترجمة ثابت بن محمد الجرجانى التى نص — كما رأينا — على انها روجعت عليها . وعند ترجمة أحمد بن محمد الهمدانى اشار الى ان ترجمته التى انفردت بها هذه المخطوطة قد وردت فيها قبل ترجمة ابن اضحى . وقد خلا هامش ابن أضحى من الاشارة الى أى قراءة من قراءاتها .

كما انا نستطيع أن نتبين مدى الدقة فى مراجعة هذه المخطوطة اذا نحن رجعنا الى الصفحتين المنشورة صورتهما منها فى صدر هذه النشرة ، واذا كان الاستاذ الناشر لم يعين مكانهما منها — وكان من واجبه أن يفعل — فقد وفقنا اليه ، وذلك

فيما بين صفحة ٤٥٥ وصفحة ٤٥٨ ، فى ترجمة تاشفين بن على ، وهى من الترجمات القليلة التى يظهر فى هامشها الرمز (ر م)

وبمراجعة هاتين الصحيفتين وجدنا أن كثيرا من القراءات التى تخالف بها هذه المخطوطة غيرها فيهما قد أغفل ، فلم يثبت فى النص ، ولم يشر اليه فى الهامش ، على ما يبدو من تعيّن بعضها ، وعلى ما يلاحظ فى هذه النشرة من اسراف شديد فى اثبات قراءات لا وجه لها ، واختلافات يصعب تبين حقيقة اختلافها ، مما أثقل الهامش بكثير مما لا داعى له .

وقد أحصينا المواضع التى أغفلت فى هاتين الصحيفتين ، مما انفردت به مخطوطة رواق المغاربة ، فاذا هى تقرب من العشرين موضعا . وليس بنا الآن ان نوردها جميعا ، اذ يكفينا للدلالة على ما نحن بصدده ، وهو موقف الاستاذ الناشر من هذه المخطوطة ، ان نشير الى بعضها :

فمن ذلك أن المخطوطة تسمى عامل على بن يوسف بن تاشفين على اشبيليه « أحمر » ، فى حين أن اسمه فى النشرة « اغمار » (ص ٤٥٥ س ١٥) . وكان من حق ذلك الاسم ، على الأقل ، أن يأخذ مكانه فى الهامش ، اذا لم ير الاستاذ الناشر انه جدير بالنص .

وبعد هذا بقليل نجد هذه العبارة ، فى سياق الحديث عن على بن يوسف بن تاشفين ، بعد أن وجه ابنه تاشفين الى العدو : « وتوفى لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين لفعله ذلك » (س ١٨) فتعترض حلوقنا هذه الكلمة الأخيرة النابية ، لا نجدلها مساغا ، فنهبط بأنظارنا الى الهامش ، فاذا به يقول : « هكذا وردت فى ج . وفى ك : « تفعله ذلك » . وأغفلها ر م » . وتظل الغصة ناشبة فى حلوقنا ، حتى يأذن الله فنقع على هذا الموقع من (ر م) ، فاذا هى لا تغفل هذه الكلمة كما يزعم الهامش ، وانما تضع موضعها العبارة الصحيحة ، اذ تقول : « وتوفى على تفيئة ذلك » .

ونحسب أننا نستطيع بهذه القراءة وحدها أن نعرف قيمة مخطوطة رواق المغاربة هذه ونقدرها قدرها . ومثل هذه القراءة فى هذا الموضع سائر النص فى هاتين الصحيفتين ، فهو سليم مستقيم لا عوج فيه ولا أمت ولا تعثر ، اذا استطاع القارىء أن يضبط القراءة على وجهها .

كما نستطيع أن نتبين هذا تبينا لا شبهة فيه فيما أورد الناشر من قراءاتها فى

بعض الفصول التى حظيت عنده فيها .

وبعض هذه القراءات ظفرت من الاستاذ الناشر بالرضا والقبول ، فأحلها فى مكانها من النص . ولكنه سخط الكثير منها فاهدره ، وان كان هو الأجدر والأولى، بل وان كان هو المتعين . كما جاء فى صفة الوزير الفقيه أحمد بن خلف الغسانى القليعى انه « قريع دهره » ، فلم تحظ هذه القراءة عنده ، فأهدرها ، وآثر أن يضع مكانها قراءة المخطوطتين الاثيرتين : « مريع دهره » وفسرها بقوله : « أعنى وافر الخصب والمرعى » ! ! (ص ١٥٣ س ٦) .

وفى هذه الترجمة، فى سياق حديث ابن الخطيب عن محنة ابى جعفر القليعى ، وسجن حفيد باديس اياه ، ثم اطلاقه من سجنه ، نقرأ هذه العبارة : « ولما تخلص أعدها غنيمة»، وينزلق النظر الى أسفل الصحيفة ليرى التعليق على كلمة «اعدها» القلقة النابية ، فاذا هو يقول : « هكذا فى المخطوطتين ، وفى رم : اعتدها». ولكن هذه القراءة لم تقع من الاستاذ الناشر موضع القبول ، فأهدرها ، مع أن الكلمة التى اثبتها فاسدة ، وليست الا تصحيفا لكلمة « اعتدها » المهدرة .

وفى عقب هذه الكلمة نقرأ هذه العبارة : « وكان جزلا قوى القلب » ، فنحس فيها بشىء من الغرابة ، فاذا قرأنا ما اثبته الناشر فى الهامش تعليقا عليها ، وجدناه يقول : « هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطتين . ولكنها وردت فى رم : حولا قلبا » . وهذه — ولا ريب — القراءة الصحيحة الأصلية التى يستقيم بها النص : والتى تحولت فى المخطوطتين الأخريين — بسوء القراءة والفهم — الى « جزلا قوى القلب » . أساء الناسخ قراءتها ، اذ غمض عليه معناها ، فوضع كلمة « جزلا » موضع كلمة « حولا » وتصرف فى كلمة « قلبا » ، فجعلها « قوى القلب » ، وأخذت بذلك هذه الصورة الغريبة التى روجها عند الأستاذ مجيئها فى المخطوطتين الاثيرتين ، كما أهدر القراءة الصحيحة المتعينة ورودها فى مخطوطة رواق المغاربة .

وهذا هو شأن سائر ما أورده الاستاذ الناشر من قراءات هذه المخطوطة ، وهو قليل فى جملته . ولكنه يدلنا على أصالتها وعظيم جدواها . وانا لنرجو أن تكشف لنا دراستها عن سائر مزاياها . وهى — فيما يبدو — جديرة بهذه الدراسة ، حقيقة أن تنكشف عن ذخر أدبى بليغ القدر .

أما ما اعتبره الاستاذ الناشر فيها من « انها تتكون من عدة أقسام متناثرة ،

لا تكون مجموعا موحدا أو متتاليا » أو انها « عبارة عن قطع متناثرة ليست كلها موصولة ولامتتالية» كما يقول فى صفتها، فما ينبغى لشى من ذلك أن يحرمها حقها، أو يهدر شخصيتها ، ويقصيها عن مكانها فى تحقيق النص والرجوع به الى الصورة التى أداها المؤلف . وأما قوله عنها : « انها بلا ريب قطعة مما يعرف بمختصر الاحاطة، لما ثبت انه يوجد بالنسخة المطبوعة زيادات كثيرة عما اثبت فيها»، فذلك أيضا لا يبرر اهدارها ، وخاصة اذا كانت جميع النسخ التى اتيحت للأستاذ الناشر موسومة بسمة الاختصار . على انى أحسب أن هذا القطع البات الجازم بانها قطعة مما يعرف . . الخ مجازفة غير لائقة علميا ، فليس يكفى أن يكون بالنسخة المطبوعة زيادات كثيرة عما اثبت فيها لتكون قطعة مما يعرف بمختصر الاحاطة ، وخاصة اذا كان « ما يعرف بمختصر الاحاطة » هذا شيئا ليس له كيان خاص ولا شخصية معروفة .

فاذا عرفنا ان لسان الدين بن الخطيب كتب كتابه الاحاطة غير مرة ، وانه ما زال يراجعه ويزيد فيه منذ وضعه ، تبين لنا مبلغ ما فى ذلك القول من مجازفة .

وقد رأينا أن تاريخ وقفية النسخة التى اهداها الى مصر هو ٢٢ محرم سنة ٧٦٨، أى انها تمت تأليفا ونسخا قبل هذا التاريخ بزمن غير قصير . كما نعلم الى جانب هذا أن نسخة الاحاطة المطبوعة فى مصر أول هذا القرن تحمل فى اطوائها وفى سياق بعض تراجمها ما يدل على انها كتبت بعد ذلك التاريخ بزمن غير قصير ، اذ تؤرخ مثلا لبعض الاحداث التى وقعت فى سنة ٧٧١ .

واذا علمنا أن نسخة الاحاطة تلك المهداة الى مصر ليست هى النسخة الأولى، بل كتب قبلها من نسخ هذا الكتاب ما يقع فى نحو نصفها ، علمنا مبلغ التفاوت فى نسخ الاحاطة التى صدرت عن المؤلف نفسه . وقد نص على هذا الأمير ابن الاحمر فى الفصل الذى كتبه عن الاحاطة ، اذ يقول :

« . . . وأخذ فى تأليف الاحاطة مستدعيا تصحيح الموالد والوفيات، والاسماء والمسميات ، ومستكثرا من طرف المصنفات ، ليتم قصده من الاطناب ، وتقله العيون الرائقة من كل كتاب . والقى جميع مقاصده ، والمعظم من تنظيم فرائده ، بيد الشيخ العمدة ، معلم الجملة منا كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ابى عبد الله الشريشى ، قدس الله تعالى ضريحه . وهذا الشيخ الذى لم يجاوز سن الكهولة فى ذلك الوقت هو الذى تولى من المبيضات نقله ، واحكم جنسه وفصله ،

وانختم على مجلدات ستة . ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس ، بعودة جدنا الغنى بالله تعالى الى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائه ، تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالأصول ، وانجز من التبجر فيه الوعد المطول ، ووضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المتممة من اثنى عشر سفرا »

فها نحن اذن ازاء نسخ ثلاث من كتاب الاحاطة صدرت جميعا عن المؤلف : كتبت أولاها قبل سنة ٧٦٣ ، وكتبت الثانية قبل سنة ٧٦٨، وكتبت الثالثة بعد سنة ٧٧١ . ولعل هنالك مما صدر عن المؤلف غير هذه الثلاث . وبين الأولى والثانية من التفاوت ما رأينا . ولا بد أن تتفاوت جميعا على كل حال ، اذ كان الرجل فى اصداره لها مؤلفا وليس ناسخا ، واذ كان معنيا بتسجيل احداث عصره والاحاطة بها وملاحقتها .

واذن فالادعاء بان نسخة رواق المغاربة ليست الا قطعة من مختصر الاحاطة ، لان هناك نسخة أخرى تزيد عليها ، ادعاء يعتمد على غير أساس .

وبذلك يسقط ما اعتبره الاستاذ الناشر فى هذه النسخة ، مما أخرها عنده عن موضعها ، وأهدر حقها الأصيل فى تقويم نص الاحاطة على الأصول العلمية .

طه الحاجرى

بنغازى

الاستبصار فى عجائب الأمصار

لمؤلف مراكشى مجهول : كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، رقم ١٠ من مطبوعات كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، ناشر هذا الكتاب ، الفضل فى نشر نصف هذا الكتاب لأول مرة فى نصه العربى ، وقد شفع هذا الفضل بآخر وهو ترجمة ما نشره عربيا لأول مرة الى اللغة الفرنسية .

وبذلك أتم الدكتور سعد زغلول ما بدأه فون كريمر بالنسبة للنص العربى ، وأتم كذلك ما بدأه فانيان منذ عام ١٩٠٠ بالنسبة لترجمة النص العربى الى اللغة الفرنسية . فاذا ذكر كتاب الاستبصار هذا فلا بد أن يقرن اسم الدكتور سعد زغلول الى جانب اسمى فون كريمر وفانيان لأن دوره وحده فى هذا الكتاب يعادل دوريهما معا .

وكان فون كريمر قد عنى بهذا الكتاب منذ أكثر من قرن ، ثم رأى فانيان فى أول هذا القرن أن يترجم هذا الكتاب الى الفرنسية لينتفع به من لا يعرفون العربية أو من لا يتقنونها . ولفانيان دور مشكور فى ترجمة كثير من الكتب العربية الى الفرنسية .

فلما عنى الدكتور سعد زغلول بهذا الكتاب أثناء تحضيره لدرجة الدكتوراه فى السربون وجده ناقصا لأن سلفيه العالمين نقلا عن مخطوطات ناقصة ، ووجد الناقص جديرا بالنشر والتسجيل : فقد كان الناقص : فصولا خاصة ببلاد غمارة ، واستقرار الأدارسة بالمغرب ، وزندقة برغواطة ، ومدينة سجلماسه ، وبداية العبيديين الفواطم ، ومدن درعة وأغمات ونفيس وتنملل ومراكش ، وكذلك الفصول الخاصة ببلاد السوس المتاخمة لبلاد السودان (أنظر ص : أ) . ومن شأن مثل هذا النقص أن يحرمنا من معلومات تاريخية وجغرافية قيمة . ولهذا واصل الدكتور سعد زغلول العناية بالكتاب وجعله رسالته التكميلية . ثم عنى بطبعه وشجعته على ذلك جامعة الاسكندرية حتى خرج الكتاب فى ثوب أنيق منشورا على الأصول المصطلح عليها فى النشر .